

كتاب موسيقي يستعرض تاريخ الألحان في تونس

العربية القديمة والوسيلة مرجعيات فكرية وإبداعية مقاومة للترتبات وكبح الحريات الفردية". ويهتم حسن حسني عبدالوهاب في كتابه بمظاهر الحضارة العربية في تونس على امتداد قرون، من آداب وعمارة وفنون ومنها الموسيقى خصوصاً؛ حيث ضمّنه سبعة وثلاثين عنواناً فرعياً يعكس كل منها نظرتهم إلى الموسيقى وألحانها وتطورها واختلافها من منطقتين إلى أخرى في أفريقيا، ومن عصر إلى آخر كالعهد العباسي والفاطمي والحفصي والتركي والحسيني.

كما يكشف قراء الكتاب أجواء الملاهية أيام بني الأغلب ومجالس الأندلس برقادة، وموكب الأعياد في بارود وطاقم الموسيقى العسكري وهوارة الموسيقى التونسية ورواتها.

وجاء في غلاف الكتاب "لا غرابة أن يكتب حسن حسني عبدالوهاب عن الموسيقى وآلات الطرب باعتبار ذلك دليلاً من دلائل الحضارة ونفي ما حاول المستعمر ترسيخه عن تونس والتونسيين من كونهم همجا وتطغى الطبيعة البربرية على سلوكهم وهم إلى العنق أقرب وإلى السلوك العدواني أميل".

وسعى الباحثان، محمد المي وعبدالجليل بوقرة في هذا العمل إلى القول إن تونس والتونسيين عرفوا مظاهر التمدن والتحضّر منذ مئات السنين، وللتونسيين باع وذراع في مجال الموسيقى التي ميّزتهم عن سائر الأقطار المغاربية خاصة. ويعد العلامة حسن حسني عبدالوهاب أحد منارات الفكر التنويري التونسي، وكان ممن تناولوا بالبحث والتأليف موضوعات متنوعة من العلوم والمعارف. صدرت له العديد من الأعمال والدراسات باللغتين العربية والفرنسية.



الآلات الطربية وجه من وجوه الهوية للشعوب العربية

جمال همراش يطرب الجمهور المغربي عن بعد

كنوني وجميلة مرابطي في التنسيق العام. وساهم في العمل الموسيقي كل من أحمد همراش (آلة القانون)، زكرياء فهميم (التشيللو)، محسن خنوس، رشيد بارة، مصطفى كونين، رشيد بارة (الكمان)، شكيب البزاري، رشيد الصنهاجي (البيانو)، رضوان العلمي وجمال اجباري (الإيقاع).

وتجدر الإشارة إلى أن الفنان جمال همراش أصدر منذ أيام قليلة أغنية تحت عنوان "يا رحمان" من كلماته وألحانه. كما شارك في أوبريت "أبطال التحدي" التي تميزت بمساهمة العديد من الفنانين والإعلاميين المغاربة؛ وهي من كلمات أحمد الصمدي؛ فكرة وألحان الفنان سمير بحاجين، بينما قام بالتوزيع الموسيقي الفنان سعيد الصنهاجي والتصميم والإشراف الفني لبر جواد.

تونس - في عام 1932، ترأس المؤرخ التونسي حسن حسني عبدالوهاب (1884-1968) أول مؤتمر عُقد حول الموسيقى العربية في القاهرة، ليهتم لاحقاً بتطوير المناقشات والأفكار حول نظرتهم إلى مجمل الموسيقى التونسية باختلاف أنواعها الشعبية والبدوية والطربية.

وفي عام 1966، نشر صاحب كتاب "وصف أفريقية والأندلس" دراسة بعنوان "ورقات في الموسيقى والآلات الطرب في القطر التونسي" في إطار سعيه لبلورة هوية وذاكرة جمعية للتونسيين؛ مشروعه الأساسي الذي كرس له جل مؤلفاته.

وبعد أن زاد من نصف قرن جمع الباحثان محمد المي وعبدالجليل بوقرة هذه الدراسة تحت عنوان "الموسيقى والآلات الطرب في القطر التونسي"، وهي القسم الثاني من كتابه "ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية"، وقد حمل هذا القسم عنوان "الموسيقى والآلات الطرب". والكتاب الصادر عن "دار آفاق - برسبكتيف" للنشر بتونس ورد في 136 صفحة من الحجم المتوسط، ضمن سلسلة "آفاق للجميع".

وورد في تقديم الكتاب أنه "يساهم في إمارة اللغز عن كتاب مجهول في ذلك الوقت ألفه التفاشي القصصي هو 'متعة الأسماع'، والذي يقارب تساؤلات عدة شغلت المهتمين بالموسيقى في القرن الثالث عشر، ومنها كيف تؤثر الألحان في النفوس الإنسانية؛ وهل تنجح فعلاً الصناعات الموسيقية في الاضطلاع بمهام علاجية؛ وأي دور للأدب والفنون في تحرير الإنسان من التزمّت والوعي المعادي للتنعيم بمباهج الحياة؛ وكيف يتصدى الإبداع للجمود وقيم الانحدار؛ وهل تتضمن سياقاتنا

سوريا تجمع الأسطورة والواقع في حفل موسيقي

سحر الشرق وفن الغرب يلتقيان في ختام مهرجان الثقافة في بيتك



«حلاق إشبيلية» يحل بقلب دمشق القديمة

ثم قدمت الأوركسترا موسيقى من "السيمفونية 40" للمؤلف الموسيقي الشهير فولفغانغ أماديوس موزارت التي وضعها عام 1788، وتعد إحدى أهم السمفونيات في تاريخ الموسيقى وهي التي يعرفها الجمهور العربي تماماً من خلال ما قدمه الأخوان رحباني في قسم منها من خلال الأغنية الشهيرة "يا أنا يا أنا" التي غنتها المطربة اللبنانية فيروز وصارت من الأعمال الشهيرة في ترانسا الموسيقي العربي.

سوريا تحتفي بموسيقى العالم ضمن مهرجان الثقافة في بيتك، كخطوة أولى لتجاوز تعطل الأنشطة الثقافية بسبب الوباء

كما تأثر بها الموسيقار الشهير بيتوفن في "السيمفونية الخامسة" الخالدة. وبعد موزارت قدمت الفرقة الموزونة الشهيرة "الدانسوب الأزرق" التي ألفها الموسيقار النمساوي يوهان شتراوس الابن عام 1866، وهي توليفة بديعة في موسيقى الفالس التي كان لها حضور فني كبير في قصور أوروبا في فترة مضت، وبها حقق شتراوس شهرة عالمية، وما زالت المقطوعة تقدم في كل أنحاء العالم ويعتبرها البعض التشديد الوطني غير الرسمي للنمسا.

وقدمت الفرقة للموسيقار جورج بيزيه صاحب الأوبرا الشهيرة "كارمن" متتالية موسيقية تفيض جمالا، وكانت نهاية الحفل بأيقونة الموسيقار بيتر إيليتش تشايكوفسكي الموسيقار الروسي وصاحب الأعمال الخالدة "بيضة البجع" و"مسارة البندق"، حيث قدمت الحافل بالرقعة والسحر، وهو الذي تأثر به الموسيقار العربي الراحل محمد عبدالوهاب فاقتبس جزءاً منه في بداية أغنية "سجن الليل" في أوبريت "مجنون ليلي" للشاعر أحمد شوقي، والتي أداها بنفسه مع المطربة أسمهان.

وحضر الرقص، أيضاً، مرافقا للموسيقى من خلال بعض لوحات فرقة "أرام للمسرح الراقص" التي أوجدت بتناغمها مع الموسيقى الغربية والمكان الشرقي المزيد من التنوع والجمال. ومن المخطط أن تعود الفعاليات الثقافية والفنية إلى الحضور في المشهد الثقافي السوري خلال الأيام القليلة القادمة. ولكن بحضور جماهيري جزئي لا يتجاوز ثلث طاقة استيعاب قاعات العرض المغلقة تماشياً مع خطط عودة الحياة لطبيعتها تدريجياً.

ويستطيع الزائر لدمشق القديمة أن يبرى مذنبه الجامع الأموي وقبته ويسمع صوت الأذان منه من باحة قصر العظم بوضوح، حيث لا يبعد عنه سوى عشرات الأمتار.

وفي سمة ثانية، تحضر ميزة تقديم الحفل من خلال أوركسترا سيمفونية خاصة في سوريا هي أوركسترا التي تحمل اسم البطل الأسطوري أرفيوس، وهو أحد الأبطال الخارقين في الميثولوجيا اليونانية القديمة.

بطل أسطوري وهبته الآلهة مواهب موسيقية غير عادية، فكان يعزف على العديد من الآلات الموسيقية خاصة القيثارة التي أهداه إياها الإله أبولو، ليكون أول من يعزف عليها، وكان يمتلك سحراً خاصاً في العزف حيث يمكنه تحريك الجماد والحيوان، وفق الأسطورة اليونانية طبعاً، فكانت تتحرك وتلحق به من عذوبة عزفه وغناؤه عندما يقوم بذلك.

والسمة الثالثة التي يحفلها الحفل هي ربط الحدث الفني الذي يجري في زمن خاص، حيث مخاطر وباء كورونا مع عراقة المكان الحضارية، وهو ما عبر عنه قائد الفرقة ومدير أوبرا دمشق أندريه معلولي، قائلاً "الغاية ربط هذه الأحداث التي نعيشها اليوم باماكن تاريخية تحمل خصوصية في وجداننا وترتبط بها أحداث كبيرة وقديمة، هي رسالة من الماضي العريق إلى غد مشرق نأمل الوصول إليه جميعاً. هذه المنطقة تتجاوز فيها أزمنة وأحداث تاريخية، والهدف من إقامة الحفلات إحداث حالة من التواضع الإبداعي مع صفحات من تاريخنا الحضاري للتبديد".

تنويعات عالمية

عبر ما يقارب الساعة من الزمن، قدمت الأوركسترا برنامجاً موسيقياً تضمن عدة معروضات من روائع الموسيقى الغربية لمؤلفين عالميين، حضروا بإبداعاتهم في هذا المكان الخاص، خان أسعد باشا العظم، وكانت موسيقاهم قد استقرت في أنفاس الناس وعرفوها منذ زمن بعيد.

البداية كانت مع موسيقى "حلاق إشبيلية" للموسيقار الشهير جواكينو روسيني التي وضعها عام 1816، وهي أوبرا هزلية تتحدث عن تحكّم بعض الناس بمصائر الآخرين. وتقوم على قصة حب تجمع بين الشاب المأفيا والشابة روزينا ورغبتها في الزواج. لكن هذه الرغبة تصطم بتعنت الوصي على الشابة الذي يرفض هذا الأمر لينتج الزواج بها طمعا في أموالها.

كان حفل أوركسترا أرفيوس في قصر العظم بقلب المدينة القديمة بدمشق، مساء الاثنين، ختاماً لبرامج مهرجان الثقافة في بيتك الذي أقامته وزارة الثقافة السورية، والذي استمر لعدد من الأيام، وكان أولى خطواتها لتجاوز مرحلة تعطل الأنشطة الثقافية بسبب وباء كورونا المستجد.

والقصر يتجاور مع الجامع الأموي رمز مدينة دمشق وآية الجمال الكبرى فيها، إضافة لكونه من أقدم الجوامع التي بنيت في التاريخ الإسلامي حيث أمر ببنائه الوليد بن عبد الملك في موقع مقدس قديم للديانة الوثنية، إذ كان معبداً للإله جوبيتر ثم للديانة المسيحية حيث كان كنيسة.

الرقص حضر مرافقا للمعروضات من خلال فرقة «أرام» التي أوجدت بتناغمها مع الموسيقى الغربية والمكان الشرقي المزيد من التنوع والجمال



نضال قوشحة
كاتب سوري



دمشق - قدم مهرجان الثقافة في بيتك الذي تقيمه وزارة الثقافة السورية، كنوع من استعادة الحياة الفنية في سوريا في ظل الحجر الصحي الذي فرضه تفشي فيروس كوفيد - 19 على العالم، مجموعة من العروض الموسيقية التي كانت دون جمهور واستعاضت عن ذلك بنقل هذه الحفلات الموسيقية من خلال شبكة الإنترنت للعموم.

وتقوم فكرة الحدث على ضرورة أن تبقى الحياة الثقافية والفنية موجودة في وجدان الناس ومتفاعلة معهم، رغم حالة الحجر الصحي العام التي أوجدها تفشي وباء كورونا في العالم وفي سوريا.

وتضمن المهرجان إقامة عدد من الحفلات التي تنقلت مواقعها بين دار الأوبرا بالعاصمة دمشق التي انطلقت العروض منها من خلال حفل للأوركسترا الوطنية السورية للموسيقى العربية بقيادة المايسترو عدنان فتح الله.

وكذلك قدمت فرقة كورال أساتذة المعهد العالي للموسيقى بمشاركة سوزان حداد حفلا في خان أسعد باشا العظم مع حضور موسيقي أوركسترا بقيادة المايسترو ميساك باغبو دريان، ثم كانت الخاتمة بالحفل الذي قدمته أوركسترا أرفيوس في قصر العظم في قلب المدينة القديمة بقيادة المايسترو أندريه معلولي. وإضافة لهذه الحفلات أقيم عدد من الأنشطة الموازية التي قدمت في عدد من المشافي العامة وجهت من خلالها بطاقات شكر للأجهزة الطبية التي تقوم بجهود كبيرة في مقاومة وباء كورونا.

ثلاث خصال

تكمن خصوصية حفل أوركسترا أرفيوس في قصر العظم بقلب المدينة القديمة بدمشق في العديد من السمات، أولها تقديمه في مكان تاريخي، وهو قصر أسعد باشا العظم الذي يعد أحد أجمل القصور القديمة بدمشق، وهو الآن متحف للتقاليد الشعبية فيها، وقد بناه أسعد باشا العظم أحد الولاة على دمشق أيام الاحتلال التركي لسوريا.